

## في الرد على الأستاذ علي العوض في : قراءة نقدية في كتاب موسم الهجرة لليمين

صدقي كبلو

كتب علي العوض:

"اطلعت على كتاب موسم الهجرة لليمين للأستاذ صدقي كبلو والكتاب جهد فكري ونظري كرس كاتبه معظم فصوله لنقد افكار بعض الذين غادروا الحزب الشيوعي السوداني وتصدى وفي اصرار عنيد لإيجاد التبريرات والدفعات لمسيرة الحزب الشيوعي طوال الخمسين عاما الماضية"

أولا الكتاب لم يكرس معظم فصوله بل كل فصوله لنقد أفكار ثلاث كتاب هم الدكتور فاروق محمد إبراهيم والزميل فيصل والزميل مصطفى. ولا أنكر إطلاقاً أن الكتاب دافع عن تاريخ الحزب خلال ٥٠ عاماً، فذلك تاريخ مجيد ونضال سديد وإني فخور للدفاع عنه في وجه التيار التصفوي الذي امتد خلال موسم الهجرة لليمين والذي بدأت نهايته تبدو في الأفق بعودة الطيور المهاجرة لمواقع اليسار من جديد بعد أن زالت صدمة انهيار المعسكر الاشتراكي وعاد الاشتراكيون من جديد يعملون مباحثهم الناقدة في النظام الرأسمالي العالمي وفي تاريخهم وتجاربهم، دون أن يهاجروا إلى اليمين ويدعون انتصار الرأسمالية النهائي ونهاية الطبقة العاملة.

ثانياً: الكتاب دافع عن تاريخ الحزب ولم يسع لتبريره. وليس صحيحاً ما ذهب له علي العوض " ولأن الكتاب والكاتب شغل خاثة الدفاع انزلق الى جب المحافظة وتكريس كل ما هو قائم عبر نقد خجول"، ولعل علي العوض في قراءته للكتاب قد فاتته أن يقرأ الصفحة الرابعة التي تقول:

الشيوعيون والديمقراطيون السودانيون ينبغي الا يشغلهم الدفاع عن وجود حزبهم عن العمل على تطويره وتحديثه لجعله حزبا جماهيريا ومؤسسة اجتماعية كبرى والاندفعوا في الدفاع عن وجود حزبهم الى درجة تيرير الأخطاء والسلبيات بل ينبغي عليهم نقد تلك الأخطاء والسلبيات بلا هوادة والاسترشاد بتراث الحزب في اصلاح الخطأ في العمل وسط الجماهير بممارسة النقد والنقد الذاتي.

بل يبدو أنه قد تجاوز العنوان الجانبي للكتاب:

**التيار التصفوي الجديد في الحزب الشيوعي**

**القضية الأساسية: تطوير الحزب الشيوعي ام تصفيته**

ولا عجب في ذلك لأن قراءة علي العوض هي قراءة مجتزأة للفصل الرابع من الكتاب فقط والذي عنوانه:

**الرفيق مصطفى : تطوير الحزب أم وراثته؟**

ملاحظات حول ورقة "أن اوان التغيير"

ويبدو أن علي العوض قد جرفه الإعلام الغربي في تعريف المحافظة والراديكاليزم، بحيث أصبح كل ماركسي محافظ في وجهة نظره، فاتهم الكاتب بالمحافظة لأنه ماركسي، يدافع عن نظرية بناء الحزب اللينينية وفي قلبها المركزية الديمقراطية (وهذا موضوع سنعود له). الكاتب يدعو لتطوير الحزب الشيوعي ويرفض تصفيته فهل يعني ذلك أنه محافظاً؟

يقول علي العوض:

"واستخدم في بعض الاحيان لغة غير موفقة – التصفويون الجدد – وهي لغة تبطن خلاف ما تظهر فهدفها النهائي ضرب ستار كثيف بين افكار المغادرين الحزب الشيوعي وفيها الجيد والصحيح وبين مجمل المتحاورين والذين قد تصل مناقشاتهم ومحاوراتهم الى اسقاط الكثير من المسلمات الماركسية بل اعتبار جل الماركسية مصدر من مصادر المعرفة الحزبية وليس الكل."

تصور علي العوض يعطي نفسه الحق في تصنيف الكاتب بالمحافظة ويرفض حق الكاتب في تصنيف من ينتقدهم بأنهم تصفويون! وعلى أي حال قدم الكاتب في الفصل الأول شرحاً وافياً لما يعنيه بالتيار التصفوي الجديد والظروف الموضوعية والذاتية التي أدت لظهوره ومعالم تجلياته وأسلحته التي يستخدمها، وكان الأجدر لمن يريد أن يقدم دراسة نقدية، وليست انطباعية أو مجموعة من الخواطر، أن يبذل جهداً في تنفيذ أو نقد ما قيل في هذا الصدد. وفي الحقيقة لا يدري الكاتب ماذا يقصد بالتحديد عن "اسقاط الكثير من المسلمات الماركسية"، وذلك لأن كلمة **الكثير** تحتاج لأمثلة وكلمة **مسلمات** لا يتبناها الماركسيون باعتبار الماركسية فكر نقدي بالأساس يعتمد على التحليل الملموس للواقع الملموس، أما إذا كان المقصود هو إكتشاف بعض الحقائق فلعل من المفيد التذكير بقول لينين:

"ان طبيعة التفكير البشري لعلى نحو يمكن أن يعطي، وهو يعطي، الحقيقة المطلقة، التي هي مجموعة حقائق نسبية. إن كل مرحلة في تطور العلم تضيف لهذه الحقيقة المطلقة الكلية، لكن مدى صحة أي مفهوم علمي لهي مسألة نسبية، تتسع أو تضيق بالتطور اللاحق للعلم" (مقتطف بواسطة آ.ب. فر ولوف، الفلسفة وتاريخ علم الوراثة، ماكدونالد، لندن، ١٩٩١، ص ٢٠)

الماركسية والعلم لا يتعارضان، إلا إذا تخلت الماركسية عن الديالكتيك، وأصبحت ستالينية. ولكن مثلما هناك مسائل نسبية فهناك في كل التاريخ البشري التعميمات في العلوم الطبيعية والاجتماعية مثل كروية الأرض وكون أن تحول قوة العمل إلى سلعة هو تعميم للإنتاج السلعي الرأسمالي.

يقول علي العوض: " المناقشة العامة وكما قلت سابقا ليست حول قضايا العصر " وتقول هيئة تحرير الشيوعي في تقديمها للعدد ١٥٦ (أغسطس ١٩٩١) وهو أول عدد في المناقشة العامة "بإصدار هذا العدد تكون اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني وبقرار منها وفق لائحة الحزب، قد فتحت المناقشة العامة حول قضايا العصر.. " وهكذا يتضح أن تسمية المناقشة بقضايا العصر ليس إختلافا من الكاتب ولكنها فرار اللجنة المركزية.

يقول علي العوض: "ان التصفويون الجدد...! وما وصلوا اليه من اراء ومعارف كانت حصيلة تجربة طويلة خاضوها داخل الحزب الشيوعي السوداني خصبوا بتضحيات جسام وعطاء دون من أو ثمن لهذا سنتل آرائهم خصبة في حركة المحاوره وجدل الافكار وكنت كغيري اتمنى بقائهم داخل الحزب الشيوعي للدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم بما فيها حل الحزب الشيوعي ومن فوق منابر الحزب الشيوعي حتى تتجلى المناقشة العامة ثم يحددون بقائهم داخل ما أفضت اليه المناقشة العامة او الرحيل"

أولاً لم يقلل الكاتب من نضال أو صدق قادة التيار التصفوي، بل أنه وصفهم بالأبطال الياثسين: فهو يقول في ٩ من موسم الهجرة لليمين:

" ان بعض الزملاء الذين يعبرون عن بعض هذه الآراء التصفوية زملاء ساهموا في النضال عبر تاريخهم ولا تنقصهم الشجاعة ولا الأقدام ولكن خفت امام اعينهم ضوء الامل او انهم يأسوا من هذه "الدورة الشريرة" بين انقلاب عسكري وحكم حزبي طائفي، انهم ابطال يائسون مغامرون يتراءى لهم الحل في حل الحزب الشيوعي وتكوين حزب جماهيري جديد يكسب الانتخابات بعد اسقاط النظام ويحلهم وشعب السودان من هذا المأزق او يصل الى السلطة مباشرة من خلال اسقاط حكم الجبهة الاسلامية عن طريق النضال المسلح ويقوم بعزل الاحزاب التقليدية او تحجيمها خلال فترة انتقال طويلة! وهم قد يكونوا مستعدين لتقديم ارواحهم فداء لبرنامجهم هذا، ولكن المسألة ليست بهذه السهولة! فكم كان النضال سيكون سهلا لو انه فقط يحتاج لابطال مغامرين مستعدين لتقديم ارواحهم فداء او انه يحتاج أن يغير الحزب الشيوعي اسمه أو يحتاج لتكوين حزب جديد غير شيوعي! لقد بعض هؤلاء الرفاق اراءهم داخل الحزب مستفيدين من فرصة المناقشة العامة المفتوحة داخل الحزب لدراسة الظروف الجديدة التي نشأت بانهايار التجارب الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ودول شرق اوربا، ولكن افكار هؤلاء الرفاق لم تجد قبولا من اغلبية اعضاء الحزب حيثما طرحت، فما كان من بعض هؤلاء الرفاق إلا أن غادروا الحزب، بعضهم غادره في صمت ودون ضجة باحثا عن مجال جديد لأفكاره والبعض الآخر أثر ان يثير ضجة حول الخروج جاعلا من خروجه انقساماً. " (خطوط التأكيد ليست في الأصل)

ثانيا: الكاتب مثل علي العوض تماما تمنى أن لا يخرج هؤلاء الرفاق، بل أنه عبر عن تمنياته هذه بالحديث الشخصي المباشر مع بعضهم وما زال يحفظ حبل الود معهم.

### الطبقات والصراع الاجتماعي

يتهم علي العوض الكاتب قائلا:

هناك كثير من القضايا التي تطرق اليها كاتب موسم الهجرة لليمين لدعم وجهة نظره وفي مجملها الصحيح ناقص فمثلا قضية الصراع الاجتماعي في السودان قضية شغلت حيز كبير في التفكير السياسي السوداني وظلت محور صراع داخل الحزب الشيوعي السوداني لفترات مختلفة. ولقد انحاز الكاتب كقطاع عريض من الشيوعيين الى اعتبار الصراع الاجتماعي في السودان صراع طبقي وكفى...!

وطبعا هذا حديث غير صحيح. يقول الكاتب ص ١٠ من موسم الهجرة:

- توحيد السوق الداخلي باستقرار الامن في مناطق السودان المختلفة والذي لن يتم الا بانتهاء الحرب الاهلية في البلاد ويجاد حلول سلمية دائمة وقد ثبت من خلال تاريخ السودان الحديث ان ذلك لن يتم عن طريق الحرب وبدون حل مسالة اقتسام السلطة والثروة والتعدد الثقافي والعرفي والديني في البلاد والتي لا يمكن حلها إلا بنموذج ديمقراطي

ويقول في ص ١٢ "

وهل يستطيع حزب ما، وإن استطاع ان يعبر عن مصالح كل الشعب في مجتمع طبقي ومتعدد الاعراق والثقافات ومتباين في مستوى تطوره الاقتصادي والاجتماعي وعانى خلال تاريخه الحديث من نشوء جو من عدم الثقة بين ممثلي قومياته (او مجموعاته العرقية والاقليمية)، فهل يستطيع كهذا حزب أن يوحد كل جماهير الشعب خلفه او معه او حتى للتصويت له"

ومفهوم الطبقات كأى مفهوم اجتماعي يفقد قدرته للتعبير عن الواقع إذا تم حصره في مستوى التجريد فقط (رغم أهمية التجريد في عملية المعرفة الديالكتيكية)، ولا بد له من الانتقال من المجرد للمحدد (الملموس) وهنا تكتسي الطبقات لحما ودما، فتظهر فيها التناقضات العرقية والدينية والقومية، والصراع الطبقي الواعي المنظم هو الذي يؤدي بالطبقات لإدراك ذاتها فتنتقل من طبقات في ذاتها لطبقات لذاتها وبالتالي تعبر جدار الانقسام العرقي والديني والقومي.

والتركيب الطبقي لأي مجتمع هو نتاج لعملية تطور المجتمع أو التغيرات التي تحدث فيه، إما نتيجة لتطوره الباطني المستقل، أو نتيجة لما يحدث من تغييرات تفرض عليه من خارجه مثل الغزو الخارجي أو الاستعمار، أو نتيجة لمحصلة من مؤثرات داخلية وخارجية معا كالتجارة الخارجية غير الممكنة الا بوجود فوائض يمكن تبادلها أو الاستثمار الأجنبي الذي يتطلب وجود شروط محلية تحقق له أقصى ربح ممكن.

ان التركيب الطبقي في السودان، مثله ومثل المستعمرات السابقة، هو نتاج لإلحاق الاقتصاد السوداني واقتصاديات تلك الدول التي كانت مستعمرة، بالسوق الرأسمالي العالمي وما تطلبه ذلك الإلحاق من سياسات مفصلة [١] اسلوب الإنتاج الرأسمالي واساليب إنتاج ما قبل الرأسمالية التي كانت تتواجد في السودان والمستعمرات السابقة.

ولا أظن أن عليا كان صحيح أيضا عندما إدعى عزلة الشيوعيين من الصراع القومي أو الإقليمي في السودان ولا أدري إن كان علي يلم ببعض تاريخ الفترة الديمقراطية الثانية حيث أسهم الشيوعيون بنشاط في قيام وتأسيس الروابط الإقليمية والقبلية والتي قادت النضال لتصفية الإدارة الأهلية أو دور جوزيف قرنق في النضال وسط الحركات الجنوبية واعتقاله أيام عيود عدة مرات في واو لاتهامه بعلاقة مع الحركات الجنوبية أو رأي الجنوبيين المثقفين في كتابه حول أزمة المثقف الجنوبي أو دوره في مفاوضات السلام وصياغة بيان ٢ يونيو في الأيام الأولى لمايو.

### حول المركزية الديمقراطية:-

يقول علي العوض:

لقد انحاز الأستاذ كبلو لمبدأ المركزية الديمقراطية كمبدأ أساسى لتنظيم الحزب وعصب حياته الداخلية...! ولكنه عاد وفي خجل ليتساءل هل قضية تطور الديمقراطية داخل الحزب قد حلت...؟! ويحمل عدم تطور هذه الديمقراطية لعوامل خارجية عن الحزب الشيوعي كقصر الفترة الديمقراطية الثالثة وأثار ١٦ عاما من السرية...! وتعمى عن رؤية التصادم التاريخي بين المركزية والديمقراطية

دعونا نقتطف من موسم الهجرة لليمين لتوضيح علاقة الديمقراطية السياسية في البلاد والديمقراطية داخل الحزب وكيف أن هناك اتفاق بين كاتب موسم الهجرة والزميل مصطفى:

أما المستوى الثاني وهو مستوى واقعي وعملي حول سيادة الديمقراطية السياسية في البلاد او غيابها وأثر ذلك على البناء الحزبي. وقد أقر مصطفى بغياب الديمقراطية ومصادرة نشاط الحزب العلني لمجمل عمر الحزب ولهذا أثاره في أن تتغلب المركزية على فترات العمل السري وأن تبقى بعض أثارها عند العلنية. بل أن مصطفى يقبل بوضوح أن تسود "المركزية القوية"، يقول مصطفى: "أم إذا كان يسود المجتمع حكم ديكتاتوري أو فاشي، كما هو الحال في بلادنا اليوم، فإن شكلا من أشكال المركزية القوية لا مفر منه. إذ أن وظائف الديمقراطية معينة لا يمكن ممارستها تحت ظل حكم ديكتاتوري يصادر حرية التعبير والتنظيم والصحافة، ويلجأ لكل وسائل القمع. حينها يصبح وجود الحزب كله في خطر وتصبح السرية، وليس العلنية، هي التي تحكم حياته. إن عضوية الحزب تقبل هذا الوضع باعتباره ضرورة موضوعية لا مفر منها، وباعتباره وضعاً مؤقتاً يزول بزوال ظروفه" (ص ٦١ من الشيوعي ١٥٧)

الضمان لسيادة الديمقراطية داخل الحزب هو وجودها في الواقع السياسي كنظام يقول مصطفى بنفسه "ساعد على نمو هذا الاتجاه (سيادة المركزية، صدقي) انعدام الديمقراطية في بلادنا وظروف الضغط والاضطهاد التي يعيش فيها حزبنا" (ص ٥٨ من الشيوعي ١٥٧). الستالينية نبتت في المجتمع السوفيتي أولا ثم انتقلت للحزب، مصادرة الديمقراطية في المجتمع السوفيتي سابقة على مصادرتها داخل الحزب، والأخيرة نتيجة منطقية للأولى. وهذا يقودنا لارتباط النقطة الأولى مع الثانية فتبني مفهوم للديمقراطية سوفييتي (وفي حالتنا مفهوم ماو تسي تونغ للديمقراطية الجديدة) يقود مباشرة لغياب الديمقراطية. إذن تبني الحزب لنظرية ديمقراطية يفتح الطريق أمام إصلاح البناء الحزبي، لا العكس.

يقول علي العوض

ويقدم الأستاذ كبلو قضية المركزية بصورة مخلة وقاصرة فيقول ص (٣٣) المسألة ببساطة هل يخضع الحزب لمركز واحد ام عدة مراكز...! كما أن كل هذه المناقشات النقدية لمبدأ المركزية الديمقراطية تهدف الى خلق أكثر من مركز داخل الحزب الشيوعي...! (ياراجل)

ويقول موسم الهجرة في ص ٥٦:

وفقا لللائحة الحزب يقوم الشكل التنظيمي على أساس المركزية الديمقراطية "وهذا يعني أن يكون له نظام واحد يسري على كل أعضائه وان يكون له مركز واحد، وان تسري قرارات الأغلبية على الأقلية وان تخضع الهيئات الدنيا للهيئات العليا" (اللائحة ص ٥٩).

بل أن موسم الهجرة ذهب لمناقشة خمسة قواعد للمركزية الديمقراطية (ص ٥٧-٦٠ ولا يمكن تشويه رأي الكاتب بالشكل الذي يعكسه علي العوض. ولا تحل المسألة باللهجة التهكمية عن فرق الكرة بالسجانة، بل المناقشة الهادئة والهادفة. ولا يمكن لي التعليق على ما حدث في جامعة القاهرة أو فرع مصر، ولا أحكم على مبدأ تنظيمي لأن ضررا وقع لشخصي أو أن خطأ أرتكب باسم ذلك المبدأ. الأساس في الحزب الشيوعي أن فرع الحزب هو ممثل الحزب في مجاله (دورة اللجنة المركزية يونيو ١٩٧٦). إن أي تنظيم موجود الآن يقوم على أساس المركزية الديمقراطية، وفقا للمبادئ الخمس التي ذكرها موسم الهجرة والمنصوص عليها في اللائحة، حتى ولو أنكر ذلك التنظيم هذه الحقيقة، المسألة هي في الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم المعين.

### حول اسم الحزب الشيوعي السوداني

يقول علي العوض

يتساءل الأستاذ كبلو ص (٣٥) هل يعيق إسم الحزب تطوره في السودان؟ ويجب صحيح ان إسم الحزب الشيوعي قد خلق بعض المصاعب امام نموه في السودان ولكنه تجاوزها في صبر ومثابرة فاصبح مقبول كجزء من النسيج السياسي والاجتماعي في السودان حتى اصبح من الممكن أن يكون لديه مرشح في جبل مرة. واضح أن الكاتب مفعم بالرضى ولكنه تناول قضية إسم الحزب من زاوية قبول او رفض الناس له وفي تقديري أن إسم الحزب يتحدد من خلال ما يبشر به وبرنامجه ودستوره والحزب الشيوعي السوداني ظل خلال نصف قرن من الزمان يبشر ويدعو للتحويل الوطني الديمقراطي عبر البرنامج الوطني الديمقراطي وآلية الجبهة الوطنية الديمقراطية وكان من المفروض أن يرتبط إسمه بهذا البرنامج ويتغير وفق متغيرات البرنامج والمرحلة

ماذا يقول الأستاذ علي العوض عن الأحزاب الشيوعية أو الماركسية أو أحزاب الطبقة العاملة التي لا تحمل اسم الحزب الشيوعي، لا أظنه سيدعوها لتغيير اسمها للشيوعي!

يسميه علي العوض! الحزب الشيوعي السوداني لا يبشر بالثورة الوطنية الديمقراطية فقط، فهو يبشر بالاشتراكية والشيوعية، فكيف

لعلي شكري على ما كتب.

صدقي كبلو

نوفمبر ٢٠٠٢

---

[١] مفصلة هي الترجمة العربية الحرفية لمفهوم Articulation والذي يعطي معنى أغنى من المعنى اللغوي لكلمة مفصلة يعبر عن عملية يتم من خلالها إنشاء مجموعة من علاقات التشابك في مجالات الإنتاج والتبادل والقوى المنتجة والسياسية بين تشكيلة اقتصادية اجتماعية أو أكثر تؤدي لخدمة أغراض التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الأكثر تطورا. انظر لمزيد من التفاصيل حول الموضوع كتاب صدقي كبلو "الاقتصاد السياسي للأزمة في السودان" مصدر سبق ذكره.